تعامل النبي ﷺ مع الأعراب

لقد كان من كمال خلقه ﷺ حسنُ تعامله مع من اتصف بالغلظة والشدّة من الناس، فقد كانت له مواقفُ عظيمةٌ وجليلةٌ مع الأعراب الذين عرفوا بالشدّة والغلظة في القول والفعل، كما قال تعالى: ﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ [التوبة: ٩٧].

فكان يقابلُ غلظتهم وشدّتهم بالرّحمة والحلم؛ كما قال فيه الله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

ومن المعروفِ أن الأعرابَ وهم سكّانُ البادية فيهم جفاءٌ وقسوةٌ؛ ولذلك قال النبي ﷺ: «**منْ بدا جفا**»(١).

قالَ في النّهايةِ (١/ ٢٨١): «أيْ: منْ سكنَ الباديةَ غلظَ طبعهُ؛ لقلّةِ مخالطةِ النّاسِ، والجفاءُ: غلظُ الطّبعِ». انتهى.

فمن سكن البادية أورثه ذلك جفاءً في الطبعِ، وغلظةً حتى في الألفاظ، بخلاف الذي يسكنُ في الحضر وفي المدن، فترى خلقه أقرب وألفاظه ألين وأرقّ من ألفاظ الرّجل الذي يعيش في الباديةِ.

وقد قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ

(١) رواه أحمد [٨٦١٩] عن أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه الألباني في صحيح الجامع [٦١٢٣].

﴿وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ٩٨-٩٩].

وقال تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة: ١٠١].

فكان منهم المؤمنون ومنهم المنافقون.

ولم يكن النبي ﷺ يرضى لأحد من أصحابه جاء من البادية وسكن المدينة أن يعود إلى البادية مرة أخرى، وعدّ ذلك من كبائر الذنوب.

فعنْ عبدِ الله بن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: «**آكلُ الرّبا، وموكلهُ، وكاتبهُ إذا علموا ذلكَ، والواشمةُ، والموشومةُ للحسنِ، ولاوي الصّدقةِ، والمرتدُّ أعرابيّاً بعدَ الهجرةِ ملعونونَ على لسانِ محمّدٍ ﷺ يومَ القيامةِ**»[(١)].

لكن يجوز هذا في ظروف استثنائية:

فعنْ سلمةَ بنِ الأكوعِ أنّهُ دخلَ على الحجّاجِ، فقالَ: يا ابنَ الأكوعِ ارتددتَ على عقبيكَ؟ تعرّبتَ؟

قالَ: لا، ولكنَّ رسولَ الله ﷺ أذنَ لي في البدوِ[(٢)].

كان رسول الله ﷺ مع ما هم عليه من الغلظة رحيماً رقيقاً معهم، يستخدم معهم الأسلوب اللين في النصح والإرشاد.

وهذا واضح في أسلوبه ﷺ مع الأعرابي الذي بال في المسجد.

عنْ أنسِ بنِ مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: بينما نحنُ في المسجدِ معَ رسولِ الله ﷺ إذْ جاءَ أعرابيٌّ، فقامَ يبولُ في المسجدِ، فقالَ أصحابُ رسولِ الله ﷺ: مهْ مهْ [أي: كفَّ عن هذا] قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**لا تزرموهُ[(٣)]، دعوهُ**».

---

(١) رواه النسائي [٥١٠٢]، وقال الألباني: «صحيح لغيره». التعليقات الحسان [٣٢٤١].

(٢) رواه البخاري [٧٠٨٧]، ومسلم [١٨٦٢]، وبوب عليه البخاري بقوله: «بابُ التّعرّبِ في الفتنةِ».

(٣) أيْ: لا تقطعوا عليه بوله. النهاية [٢/ ٣٠١].

فتركوهُ حتّى بالَ.

ثمَّ إنَّ رسولَ الله ﷺ دعاهُ، فقالَ لهُ: «**إنَّ هذهِ المساجدَ لا تصلحُ لشيءٍ منْ هذا البولِ، ولا القذرِ، إنّما هيَ لذكرِ الله عَزَّوَجَلَّ، والصّلاةِ، وقراءةِ القرآنِ**». أوْ كما قالَ رسولُ الله ﷺ.

قالَ: فأمرَ رجلاً منَ القومِ فجاءَ بدلوٍ منْ ماءٍ، فشنّهُ عليهِ[1] - أي صبّه.

وعنْ أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: دخلَ أعرابيٌّ المسجدَ والنّبيُّ ﷺ جالسٌ فصلّى فلمّا فرغَ قالَ: اللهمَّ ارحمني ومحمّداً، ولا ترحمْ معنا أحداً.

فالتفتَ إليهِ النّبيُّ ﷺ، فقالَ: «**لقدْ تحجّرتَ واسعاً**».

فلمْ يلبثْ أنْ بالَ في المسجدِ، فأسرعَ إليهِ النّاسُ.

فقالَ النّبيُّ ﷺ: «**أهريقوا عليهِ سجلاً منْ ماءٍ أوْ دلواً منْ ماءٍ**».

ثمَّ قالَ: «**إنّما بعثتمْ ميسّرينَ، ولمْ تبعثوا معسّرينَ**»[2].

وفي رواية: فقالَ الأعرابيُّ بعدَ أنْ فقهَ: فقامَ إليَّ بأبي وأمّي، فلمْ يؤنّبْ، ولمْ يسبَّ، فقالَ: «**إنَّ هذا المسجدَ لا يبالُ فيهِ، وإنّما بنيَ لذكرِ اللهِ، وللصّلاةِ**»، ثمَّ أمرَ بسجلٍ منْ ماءٍ، فأفرغَ على بولهِ[3].

من فوائد الحديث:

فيهِ: الرّفقُ بالجاهلِ، وتعليمه ما يلزمهُ منْ غير تعنيف، ولا إيذاء إذا لمْ يأتِ بالمخالفةِ استخفافاً أوْ عناداً، ولا سيّما إنْ كانَ ممّنْ يحتاجُ إلى استئلافه.

وفيهِ: رأفةُ النّبيِّ ﷺ، وحسنُ خلقهِ.

وفيهِ: دفعُ أعظم الضّررينِ باحتمالِ أخفّهما؛ لقولهِ ﷺ: «دعوهُ» قالَ العلماء: كانَ قوله ﷺ: «دعوهُ» لمصلحتينِ:

---

(١) رواه البخاري [٢١٩]، ومسلم [٢٨٥].

(٢) رواه البخاري [٢٢٠]، والترمذي [١٤٧]، واللفظ له.

(٣) رواه ابن ماجة [٥٢٩]، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة [٥٢٩].

إحداهما: أنّهُ لوْ قطعَ عليهِ بوله تضرّرَ، وأصل التّنجيس قدْ حصلَ، فكانَ احتمال زيادته أولى منْ إيقاع الضّرر بهِ.

والثّانية: أنَّ التّنجيس قدْ حصلَ في جزء يسير منَ المسجد، فلوْ أقاموهُ في أثناء بوله لتنجّستْ ثيابه وبدنه ومواضع كثيرة منْ المسجد.

وفيهِ: أنَّ الاحترازَ منْ النّجاسةِ كانَ مقرّراً في نفوسِ الصّحابةِ؛ ولهذا بادروا إلى الإنكارِ بحضرتهِ ﷺ قبلَ استئذانهِ، ولما تقرّرَ عندهمْ أيضاً منْ طلبِ الأمرِ بالمعروفِ، والنّهيِ عنْ المنكرِ.

وفيهِ: المبادرةُ إلى إزالةِ المفاسدِ عندَ زوال المانع؛ لأمرهمْ عندَ فراغهِ بصبِّ الماءِ.

وفيهِ: أنَّ غسالة النّجاسة الواقعة على الأرضِ طاهرة، ويلتحقُ بهِ غير الواقعةِ؛ لأنَّ البلّةَ الباقية على الأرضِ غسالة نجاسة، فإذا لمْ يثبتْ أنَّ التّرابَ نقلَ، وعلمنا أنَّ المقصودَ التّطهير تعيّنَ الحكم بطهارة البلّة، وإذا كانتْ طاهرةً فالمنفصلة أيضاً مثلها؛ لعدم الفارقِ.

وفيهِ: تعظيمُ المسجد وتنزيههُ عنْ الأقذارِ.

وفيهِ: أنَّ الأرضَ تطهرُ بصبِّ الماءِ عليها ولا يشترطُ حفرها[1].

وكان ﷺ يقابل إساءتهم وغلظتهم بالعفو والإحسان:

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنتُ أمشي معَ رسولِ الله ﷺ وعليهِ رداءٌ نجرانيٌّ[2] غليظُ الحاشيةِ[3].

فأدركهُ أعرابيٌّ، فجبذهُ بردائهِ جبذةً شديدةً، حتّى انشقَّ البردُ، وحتّى بقيتْ حاشيتهُ في عنقِ رسولِ الله ﷺ، ونظرتُ إلى صفحةِ عنقِ رسولِ الله ﷺ، وقدْ أثّرتْ بها حاشيةُ الرّداءِ منْ شدّةِ جبذتهِ.

---

(١) فتح الباري [١/ ٣٢٥]، شرح النووي على صحيح مسلم [٣/ ١٩١].

(٢) نسبة إلى نجران بلد معروف بيَن الحجاز واليمن.

(٣) وهيَ طرف الثّوب ممّا يلي طرّتهُ.

ثمَّ قالَ: يا محمّدُ، مرْ لي منْ مالِ الله الّذي عندكَ.

فالتفتَ إليهِ رسولُ الله ﷺ، فضحكَ، ثمَّ أمرَ لهُ بعطاءٍ(١).

من فوائد الحديث:

فيهِ: بيانُ كمالِ خلقِ رسولِ الله ﷺ، وحلمه، وصفحه الجميل، وصبره على الأذى في النّفس والمالِ.

والتّجاوز عنْ جفاء منْ يريد تألّفه على الإسلام، وليتأسّى بهِ الولاة بعده في خلقه الجميل منْ الصّفح، والإغضاء والدّفع بالّتي هيَ أحسن.

وفيهِ: احتمال الجاهلينَ، والإعراض عنْ مقابلتهم.

وفيهِ: دفعُ السّيّئة بالحسنةِ، وإعطاء منْ يتألّف قلبهُ.

وفيهِ: العفوُ عنْ مرتكب كبيرة لا حدَّ فيها بجهلهِ.

وفيهِ: إباحة الضّحك عند الأمور الّتي يتعجّبُ منها في العادة(٢).

ومن حلمه ﷺ مع الأعراب، ما رواه أبو موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:

كنتُ عندَ النّبيِّ ﷺ وهوَ نازلٌ بالجعرانةِ بينَ مكّةَ والمدينةِ(٣)، ومعهُ بلالٌ.

فأتى النّبيَّ ﷺ أعرابيٌّ فقالَ: ألا تنجزُ لي ما وعدتني(٤)!

فقالَ لهُ: «**أبشرْ**».

فقالَ: قدْ أكثرتَ عليَّ منْ أبشرْ!!

---

(١) رواه البخاري [٣١٤٩] ومسلم [١٠٥٧] واللفظ له.

(٢) فتح الباري [١٠/ ٥٠٦]، شرح النووي على صحيح مسلم [٧/ ١٤٧].

(٣) الذي جزم به أكثر الشراح أنها بين الطّائف ومكّة وإلى مكّة أقرب.

(٤) يحتمل أنَّ الوعد كانَ خاصّاً بِهِ، ويحتمل أنْ يكون عامّاً، وكانَ طلبه أنْ يعجّل لهُ نصيبه منَ الغنيمة فإنّهُ ﷺ كانَ أمرَ أنْ تجمع غنائم حنينٍ بالجعرّانةِ، وتوجّهَ هوَ بالعساكرِ إلى الطّائف، فلمّا رجعَ منها قسمَ الغنائم حينئذٍ بالجعرّانة، فلهذا وقعَ في كثير ممّنْ كانَ حديث عهد بالإسلامِ استبطاء الغنيمة واستنجاز قسمتها. فتح الباري [٨/ ٤٦].

فأقبلَ على أبي موسى وبلالٍ كهيئةِ الغضبانِ فقالَ: «**ردَّ البشرى فاقبلا أنتما**».

قالا: قبلنا.

ثمَّ دعا بقدحٍ فيهِ ماءٌ، فغسلَ يديهِ ووجههُ فيهِ، ومجَّ فيهِ، ثمَّ قالَ: «**اشربا منهُ، وأفرغا على وجوهكما، ونحوركما وأبشرا**».

فأخذا القدحَ ففعلا، فنادتْ أمُّ سلمةَ منْ وراءِ السّترِ: أنْ أفضلا لأمّكما، فأفضلا لها منهُ طائفةً[1].

قال القرطبي: «وقول الأعرابيِّ: أكثرتَ عليَّ من أبشر، قولُ جلفٍ جاهلٍ بحال النبي ﷺ، وبقدر البشرى التي بشّره بها لو قبلها، لكنها عرضتْ عليه، فحرمها، وقضيتْ لغيره، فقبلها.

والبشرى: خبرٌ بما يسرُّ، سمّيتْ بذلك لأنها تظهرُ السرورَ في بشرة المبشّرِ، وأصله في الخير، وقد يقال في الشّرِّ توسّعاً.

وقول النبيِّ ﷺ: «**أبشر**»، لم يذكر له عين ما بشّرهُ به؛ لأنه قصدَ تبشيره بالخيرِ على العموم الذي يصلحُ لخير الدنيا والآخرة.

ولمّا جهل ذلك ردّه لحرمانه، ولمّا عرض ذلك على من عرف قدره؛ بادر إليه وقبلهُ، فنالَ من البشارة الخيرَ الأكبرَ، والحظَّ الأوفر.

وكونه ﷺ غسل وجهه في الماءِ وبصقَ فيه وأمرهما بشرب ذلك والتمسّح به مبالغة في إيصال الخير لهما»[2].

ويعفو عمن حاول قتله منهم:

عن جابرِ بنِ عبدِ الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أنّهُ غزا معَ رسولِ الله ﷺ قبلَ نجدٍ، فلمّا قفلَ رسولُ الله ﷺ قفلَ معهُ، فأدركتهمْ القائلةُ[3] في وادٍ كثيرِ العضاه[4].

---

(١) رواه البخاري [٤٣٢٨] ومسلم [٥٠٣].

(٢) المفهم [٦/ ٤٤٨].

(٣) أيْ: وسط النّهار وشدّةُ الحرِّ.

(٤) وهو كلّ شجر عظيم لهُ شوك. النهاية [٣/ ٢٥٥].

فنزلَ رسولُ الله ﷺ، وتفرّقَ النّاسُ في العضاهِ يستظلّونَ بالشّجرِ، ونزلَ رسولُ الله ﷺ تحتَ سمرةٍ[١]، فعلّقَ بها سيفهُ.

قالَ جابرٌ: فنمنا نومةً، ثمَّ إذا رسولُ الله ﷺ يدعونا، فجئناهُ فإذا عندهُ أعرابيٌّ جالسٌ[٢].

فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**إنَّ هذا اخترطَ سيفي وأنا نائمٌ، فاستيقظتُ وهوَ في يدهِ صلتاً**[٣].

فقالَ لي: تخافني؟

قلت: لا.

فقالَ لي: منْ يمنعكَ منّي؟

قلتُ: «الله»، ثلاثاً. فشامَ السّيفُ[٤].

فها هوَ ذا جالسٌ[٥]».

ثمَّ لمْ يعاقبهُ رسولُ الله ﷺ[٦].

وفي رواية: فسقطَ السّيفُ منْ يدهِ، فأخذهُ رسولُ الله ﷺ، وقالَ: «**منْ يمنعكَ؟**».

قالَ: كنْ خيرَ آخذٍ.

قالَ: «**تشهدُ أنَّ لا إلهَ إلّا الله، وأنّي رسولُ الله؟**».

قالَ: أعاهدكَ على أنْ لا أقاتلكَ، ولا أكونُ معَ قومٍ يقاتلونكَ.

---

(١) أيْ: شجرةٍ كثيرة الورقِ.

(٢) هو غورثُ بنُ الحارثِ؛ كما في رواية الحاكم.

(٣) أيْ مسلولًا.

(٤) المراد أغمدهُ، وهذهِ الكلمة منْ الأضدادِ، يقالُ شامهُ إذا استلّهُ وشامهُ إذا أغمدهُ. لسان العرب [١٢/ ٣٣٠].

(٥) وكأنَّ الأعرابيّ لمّا شاهدَ ذلكَ الثّبات العظيم، وعرفَ أنّهُ حيلَ بينهُ وبينهُ؛ تحقّقِ صدقهِ، وعلمَ أنّهُ لا يصل إليهِ، فألقى السّلاح، وأمكنَ منْ نفسهِ. فتح الباري [٧/ ٤٢٧].

(٦) رواه البخاري [٢٩١٠] ومسلم [٨٤٣].

قالَ: فخلّى رسولُ الله ﷺ سبيلهُ، فجاءَ إلى قومهِ، فقالَ: جئتكمْ منْ عندِ خيرِ النّاسِ[١].

فمنَّ عليهِ النبيُّ ﷺ لشدّةِ رغبته في استئلافِ الكفّارِ؛ ليدخلوا في الإسلامِ، ولمْ يؤاخذه بما صنعَ، بلْ عفا عنهُ.

ومن فوائد الحديث:

فيهِ: ترك الإمام معاقبة من جفا عليه وتوعّده إن شاء، والعفو عنه إن أحب.

وفيهِ: صبرُ الرسول ﷺ، وحلمه وصفحه عن الجهّال.

وفيهِ: شجاعته، وبأسه، وثبات نفسه صلى الله عليه، ويقينه أن الله ينصره، ويظهره على الدين كله[٢].

وكان ﷺ يصبر على كثرة أسئلتهم ويجيبهم عليها:

فقد كانوا كثيراً ما يسألون النبي ﷺ، وكان الصحابةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يهابون النبيَّ ﷺ ويوقّرونه، ولم يكونوا يسألونه عن أشياء مسكوت عنها؛ خشية أن ينزل تحريم هذه الأشياء؛ فيكون السائل قد تسبب في ذلك فيأثم.

وكانوا يفرحون بالأعراب إذا قدموا المدينة؛ ليسألوا النبيَّ ﷺ، فيجيبهم على ذلك، فينتفع الصحابة.

عنِ النوّاسِ بنِ سمعانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: أقمتُ معَ رسولِ الله ﷺ بالمدينةِ سنةً ما يمنعني منَ الهجرةِ إلّا المسألةُ، كانَ أحدنا إذا هاجرَ لمْ يسألْ رسولَ الله ﷺ عنْ شيءٍ[٣].

ومعناهُ: أنّهُ أقامَ بالمدينةِ كالزّائرِ، وما منعهُ منَ الهجرة واستيطان المدينة إلّا الرّغبة في سؤال رسول الله ﷺ عنْ أمور الدّين؛ فإنّهُ كانَ سمحَ بذلكَ للطّارئينَ دون المهاجرينَ،

---

(١) رواه الحاكم [٤٣٢٢]، وصححه على شرطِ الشّيخينِ، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في التعليقات الحسان [٢٨٧٢].

(٢) شرح صحيح البخارى لابن بطال [٥/ ١٠١].

(٣) رواه مسلم [٢٥٥٣].

وكانَ المهاجرونَ يفرحونَ بسؤالِ الغرباء منَ الأعراب وغيرهمْ؛ لأنّهمْ يحتملونَ في السّؤال، ويعذرون، ويستفيد المهاجرونَ الجواب[١].

وعنْ أنسِ بنِ مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: نهينا أنْ نسألَ رسولَ الله ﷺ عنْ شيءٍ[٢]، فكانَ يعجبنا أنْ يجيءَ الرّجلُ منْ أهلِ الباديةِ[٣] العاقلُ، فيسألهُ ونحنُ نسمعُ.

بينما نحنُ جلوسٌ معَ النّبيِّ ﷺ في المسجدِ دخلَ رجلٌ منْ أهلِ الباديةِ على جملٍ فأناخهُ في المسجدِ ثمَّ عقلهُ، ثمَّ قالَ: لهمْ أيّكمْ محمّدٌ؟

والنّبيُّ ﷺ متّكئٌ بينَ ظهرانيهمْ.

فقلنا: هذا الرّجلُ الأبيضُ المتّكئُ.

فقالَ لهُ الرّجلُ: يا ابنَ عبدِ المطّلبِ

فقالَ لهُ النّبيُّ ﷺ: «**قدْ أجبتكَ**».

فقالَ الرّجلُ للنّبيِّ ﷺ: إنّي سائلكَ، فمشدّدٌ عليكَ في المسألةِ، فلا تجدْ عليَّ في نفسكَ.

فقالَ: «**سلْ عمّا بدا لكَ**».

فقالَ: يا محمّدُ أتانا رسولكَ فزعمَ لنا أنّكَ تزعمُ أنَّ اللهَ أرسلكَ؟

قالَ: «**صدقَ**».

قالَ: فمنْ خلقَ السّماءَ؟

قالَ: «**الله**».

قالَ: فمنْ خلقَ الأرضَ؟

قالَ: «**الله**».

---

(١) شرح النووي على مسلم [١٦/ ١١١].

(٢) يعني سؤالَ ما لا ضرورةَ إليهِ.

(٣) يعني منْ لمْ يكنْ بلغهُ النّهي عنْ السّؤال، ولأنَّ أهل البادية همْ الأعراب، ويغلبُ فيهمْ الجهلُ والجفاءُ.

قالَ: فمنْ نصبَ هذهِ الجبالَ وجعلَ فيها ما جعلَ؟

قالَ: «**الله**».

قالَ: فبالّذي خلقَ السّماءَ وخلقَ الأرضَ ونصبَ هذهِ الجبالَ آللهُ أرسلكَ؟

قالَ: «**نعمْ**».

قالَ: وزعمَ رسولكَ أنَّ علينا خمسَ صلواتٍ في يومنا وليلتنا.

قالَ: «**صدقَ**».

قالَ: فبالّذي أرسلكَ آللهُ أمركَ بهذا؟

قالَ: «**نعمْ**».

قالَ: وزعمَ رسولكَ أنَّ علينا زكاةً في أموالنا.

قالَ: «**صدقَ**».

قالَ: فبالّذي أرسلكَ آللهُ أمركَ بهذا؟

قالَ: «**نعمْ**».

قالَ: وزعمَ رسولكَ أنَّ علينا صومَ شهرِ رمضانَ في سنتنا.

قالَ: «**صدقَ**».

قالَ: فبالّذي أرسلكَ آللهُ أمركَ بهذا؟

قالَ: «**نعمْ**».

قالَ: وزعمَ رسولكَ أنَّ علينا حجَّ البيتِ منْ استطاعَ إليهِ سبيلاً.

قالَ: «**صدقَ**».

ثمَّ ولّى وقالَ: والّذي بعثكَ بالحقِّ لا أزيدُ عليهنَّ، ولا أنقصُ منهنَّ.

فقالَ النّبيُّ ﷺ: «**لئنْ صدقَ ليدخلنَّ الجنّةَ**»(١).

وكان ﷺ يحتمل مقاطعتهم لحديثه، وربما أخر إجابتهم حتى يفرغ من حديثه:

عـنْ أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: بينما النّبيُّ ﷺ في مجلسٍ يحدّثُ القومَ جاءهُ أعرابيٌّ، فقالَ متى السّاعةُ؟

فمضى رسولُ الله ﷺ يحدّثُ.

فقالَ بعضُ القومِ: سمعَ ما قالَ فكرهَ ما قالَ.

وقالَ بعضهمْ: بلْ لمْ يسمعْ.

حتّى إذا قضى حديثهُ قالَ: «**أينَ أراهُ السّائلُ عنْ السّاعةِ؟**».

قالَ: ها أنا يا رسولَ الله.

قالَ: «**فإذا ضيّعتْ الأمانةُ فانتظرْ السّاعةَ**».

قالَ: كيفَ إضاعتها؟.

قالَ: «**إذا وسّدَ الأمرُ إلى غيرِ أهلهِ فانتظرْ السّاعةَ**»(٢).

من فوائد الحديث:

فيهِ: وجوبُ تعليم السائل؛ لقوله: (أينَ السّائلُ؟)، ثم إخباره عن الذي سأل عنه.

وفيهِ: أن من آدابِ المتعلّمِ أن لا يسأل العالم ما دام مشتغلاً بحديث أو غيره؛ لأن من حقِّ القوم الذين بدأ بحديثهم أن لا يقطعه عنهم حتى يتمّه.

وفيـهِ: الرّفـقُ بالمتعلم وإن جفا في سـؤاله، أو جهـل؛ لأنه ﷺ لم يوبّخهُ على سـؤاله قبل إكمال حديثه.

---

(١) رواه البخاري [٦٣٣]، ومسلم [١٢]، وقد سبق.

(٢) رواه البخاري [٥٩]، وقد سبق.

وفيهِ: جواز مراجعة العالم عند عدم فهم السائل؛ لقوله: «كيفَ إضاعتها؟»[١].

وكان يحتمل رفع صوتهم عليه ونداءهم له بالسؤال:

فعن ابن عمر قال: إنَّ أعرابيّاً نادى رسولَ الله ﷺ: ما ترى في هذا الضّبِّ؟

فقالَ: «**لا آكلهُ ولا أحرّمهُ**»[٢].

وعنِ ابنِ عمرَ أنَّ أعرابيّاً نادى النّبيَّ ﷺ فقالَ: ما يقتلُ المحرمُ منَ الدّوابِّ؟ فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**الغرابَ، والحدأةَ، والفأرةَ، والكلبَ العقورَ، والعقربَ**»[٣].

وعنْ البراءِ بنِ عازبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قولهِ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحجرات: ٤]، قالَ: فقامَ رجلٌ، فقالَ: يا رسولَ اللهِ، إنَّ حمدي زينٌ، وإنَّ ذمّي شينٌ.

فقالَ النّبيُّ ﷺ: «**ذاكَ الله** عَزَّوَجَلَّ»[٤].

ومقصودُ الرّجلِ منْ هذا القولِ مدحُ نفسهِ، وإظهارُ عظمتهِ يعني إنْ مدحت رجلاً فهوَ محمودٌ ومزيّنٌ، وإنْ ذممت رجلاً فهوَ مذمومٌ ومعيبٌ.

وقوله: «**ذاكَ الله** عَزَّوَجَلَّ» أيِ: الّذي حمدهُ زينٌ وذمّهُ شينٌ هوَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.[٥]

وكان يضرب لهم الأمثال بما يفهمون من أمور البادية:

عنْ أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ أعرابيّاً أتى النّبيَّ ﷺ فقالَ: يا رسولَ الله ولدَ لي غلامٌ أسودُ [وإنّي أنكرته].

---

(١) شرح ابن بطال [١/ ١٢٧]، عمدة القاري [٢/ ٧].

(٢) رواه أحمد [٥٥٠٥]، وقال شعيب الأرناؤوط: «إسناده صحيح على شرط الشيخين» أ.هـ. ورواه البخاري [٥٥٣٦]، ومسلم [١٩٤٣] دون نداء الأعربي.

(٣) مستخرج أبي عوانة [٤/ ٣٦٢]، ورواه البخاري [١٨٢٨]، ومسلم [١١٩٩] دون نداء الأعربي أيضاً.

(٤) رواه الترمذي [٣٣٦٧]، وصححه الألباني في صحيح الترمذي [٣٣٦٧].

(٥) تحفة الأحوذي [٩/ ١٠٩].

فقالَ: «**هلْ لكَ منْ إبلٍ؟**».

قالَ: نعم.

قالَ: «**ما ألوانها؟**».

قالَ: حمرٌ.

قالَ: «**هلْ فيها منْ أورقَ؟**»[١].

قالَ: نعمْ.

قالَ: «**فأنّى ذلكَ؟**».

قـالَ: لعلّهُ نزعهُ عرقٌ.[أي: لعله أنْ يكون في أصولها ما هوَ باللّونِ المذكور فاجتذبهُ إليهِ فجاءَ على لونه].

قالَ: «**فلعلَّ ابنكَ هذا نزعهُ عرقٌ**»[٢].

وكان يجالسهم ويضحكُ معهم ويتبسّط معهم في الحديث، وينزل عليه الضيفُ منهم، فيحسنُ ضيافته وإكرامه.

فعـن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ النّبيَّ ﷺ كانَ يومـاً يحدّثُ - وعندهُ رجلٌ منْ أهلِ الباديةِ-: «**أنَّ رجلاً منْ أهلِ الجنّةِ استأذنَ ربّهُ في الزّرعِ، فقالَ لهُ: أولستَ فيما شئتَ؟**

قالَ: بلى، ولكنّي أحبُّ أنْ أزرعَ.

قالَ: فأسرعَ وبذرَ فتبادرَ الطّرفَ نباتهُ واستواؤهُ واستحصادهُ، فكانَ أمثالَ الجبالِ[٣].

فيقولُ الله: دونكَ يا ابنَ آدمَ فإنّهُ لا يشبعكَ شيءٌ».

---

(١) الأورق من الإبل: الذي في لونه بياض إلى سواد. والورقة: سواد في غبرة، وقيل: سواد وبياض كدخان الرمث [نوع من النبات]. لسان العرب [١٠/ ٣٧٦].

(٢) رواه البخاري [٥٣٠٩] ومسلم [١٥٠٠]، وقد سبق.

(٣) أيْ: أنه أذنَ لهُ في الزرع فبذرَ، فنبتَ البذرُ في الحال، ولمْ يكنْ بين ذلكَ وبين استواء الزّرع، ونجاز أمره كلّه منَ القلع والحصد والتّذرية والجمع والتّكويم إلّا قدر لمحة البصر. فتح الباري [٥/ ٢٧].

فقالَ الأعرابيُّ: والله لا تجدهُ إلّا قرشيّاً أوْ أنصاريّاً، فإنّهمْ أصحابُ زرعٍ، وأمّا نحنُ فلسنا بأصحابِ زرعٍ!

فضحكَ النّبيُّ ﷺ[1].

أيْ منْ فطانةِ البدويِّ، وجوابِهِ البديعيِّ[2].

وعنْ ثوبانَ مولى رسولِ الله ﷺ قالَ: نزلَ بنا ضيفٌ بدويٌّ، فجلسَ بهِ رسولُ الله ﷺ، أمامَ بيوتهِ.

فجعلَ يسألهُ عنِ النّاسِ كيفَ فرحهمْ بالإسلامِ، وكيفَ حدبهم في الصّلاةِ، فما زالَ يخبرهُ منْ ذلكَ بالّذي يسرّهُ حتّى رأيتُ وجهَ رسولِ الله نضراً.

حتّى إذا انتفخَ النّهارُ، وحانَ أكلُ الطّعامِ أنْ يؤكلَ، دعاني، فأشارَ إليَّ مستخفياً لا يألوا: «**أنِ ائتِ بيتَ عائشةَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، **فأخبرها أنَّ لرسولِ الله ﷺ ضيفاً**».

قالتْ: والّذي بعثكَ بالهدى ودينِ الحقِّ ما أصبحَ في بيتنا شيءٌ يأكلهُ أحدٌ منَ النّاسِ.

فردّني إلى نسائهِ، كلّهنَّ يعتذرنَ بما اعتذرتْ بهِ عائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، حتّى رأيتُ لونَ رسولِ الله ﷺ كسفَ.

وكانَ البدويُّ عاقلاً ففطنَ، فما زالَ البدويُّ يعارضُ رسولَ الله ﷺ، حتّى قالَ: إنّا أهلُ الباديةِ معانونَ في زماننا، لسنا كأهلِ الحضرِ، إنّما يكفي أحدنا القبضةُ منَ التّمرِ يشربُ عليها الشّربةُ منَ اللّبنِ، فذلكَ الخصبُ[3].

فمرّتْ عندَ ذلكَ عنزٌ لنا قدِ احتلبتْ، كنّا نسمّيها ثمراءَ، فدعا بها رسولُ الله ﷺ، باسمها وقالَ: «**ثمرا، ثمرا**».

---

(١) رواه البخاري [٢٣٤٨].

(٢) مرقاة المفاتيح [٩/ ٣٦٠٠].

(٣) أي: إذا وجد تمر وعليه ماء أو لبن، فهذا أعلى شيء، وهذا هو الخصب. وفيه حسن خلق هذا البدوى وحصافة عقله وفطانته وطيب كلامه.

فأقبلتْ إليهِ تحمحمُ، فأخذَ برجلها ومسحَ ضرعها وقالَ: «**باسمِ الله**».

فحفلتْ، فدعاني بمحلبٍ لنا، فأتيتهُ بهِ، فحلبَ وقالَ: «**باسمِ الله**»، فملأهُ.

ثمَّ قالَ: «**ادفعْ باسمِ الله**».

فدفعتُ إلى الضّيفِ فشربَ منهُ شربةً ضخمةً، ثمَّ أرادَ أنْ يضعهُ، فقالَ لهُ رسولُ الله ﷺ: «**علَّ**»[1]، فعادَ.

ثمَّ أرادَ أنْ يضعهُ، فقالَ لهُ رسولُ الله: «**علَّ**»، فكرّرَ حتّى امتلأَ، وشربَ ما شاءَ الله.

ثـمَّ حلبَ فيهِ وقالَ: «**باسـمِ الله**»، وملأهُ ثمَّ قالَ: «**أبلغْ هذا عائشـةَ، فلتشربْ منهُ ما بدا لها**».

ثمَّ رجعتُ إليهِ فحلبَ فيهِ وقالَ: «**باسمِ الله**»، فملأهُ، ثمَّ أرسلني إلى نسائهِ، كلّما شربتِ امرأةٌ ردّني إلى الأخرى، وقالَ: «**باسمِ الله**»، حتّى ردّهنَّ كلّهنَّ.

ثمَّ رددتُ إليهِ.

فقالَ: «**ارفعْ إليَّ**»، فرفعتهُ فقالَ: «**باسـمِ الله**»، فشربَ ما شـاءَ الله، ثمَّ أعطاني، فلمْ آلُ أنْ أضعَ شـفتيَّ على درجِ القدحِ، فشربتُ شراباً أحلى منَ العسـلِ، وأطيبَ منَ المسـكِ، وقالَ: «**اللهمَّ باركْ لأهلها فيها**». يعني: العنز[2].

وكان يثني على أهل الصدق والجهاد منهم.

عن شدّادِ بنِ الهادِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّ رجلاً منَ الأعرابِ جاءَ إلى النّبيِّ ﷺ، فآمنَ بهِ، واتّبعهُ، ثمَّ قالَ: أهاجرُ معكَ.

فأوصى بهِ النّبيُّ ﷺ بعضَ أصحابهِ، فلمّا كانتْ غزوةٌ غنمَ النّبيُّ ﷺ سبياً، فقسمَ، وقسمَ لهُ، فأعطى أصحابهُ ما قسمَ لهُ، وكانَ يرعى ظهرهمْ، فلمّا جاءَ دفعوهُ إليهِ، فقالَ: ما هذا؟

---

(١) من العللُ: وهو الشرّبِ بعد الشرّب. النهاية [٣/ ٥٥٩]

(٢) رواه الآجري في كتاب الشريعة [١٠٤٨]، وصححه الألباني في الصحيحة [١٩٧٧]، وقد سبق.

قالوا: قسمٌ قسمهُ لكَ النّبيُّ ﷺ، فأخذهُ، فجاءَ بهِ إلى النّبيِّ ﷺ، فقالَ: ما هذا؟

قالَ: «**قسمتهُ لكَ**».

قالَ: ما على هذا اتّبعتكَ، ولكنّي اتّبعتكَ على أنْ أرمى إلى هاهنا، وأشارَ إلى حلقهِ بسهمٍ، فأموتَ، فأدخلَ الجنّةَ.

فقالَ: «**إنْ تصدقِ اللهَ يصدقكَ**».

فلبثوا قليلاً، ثمَّ نهضوا في قتالِ العدوِّ، فأتيَ بهِ النّبيُّ ﷺ يحملُ قدْ أصابهُ سهمٌ حيثُ أشارَ.

فقالَ النّبيُّ ﷺ: «**أهوَ هوَ؟**».

قالوا: نعمْ.

قالَ: «**صدقَ اللهَ، فصدقهُ**».

ثمَّ كفّنهُ النّبيُّ ﷺ في جبّته، ثمَّ قدّمهُ، فصلّى عليهِ، فكانَ فيما ظهرَ منْ صلاتهِ: «**اللهمَّ هذا عبدكَ خرجَ مهاجراً في سبيلكَ، فقتلَ شهيداً، أنا شهيدٌ على ذلكَ**»[1].

وعنْ جابرِ بنِ عبدِ الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالَ: كانَ معاذٌ يصلّي معَ رسولِ الله ﷺ العشاءَ، ثمَّ يرجعُ فيصلّي بأصحابهِ.

فرجعَ ذاتَ يومٍ فصلّى بهمْ، وصلّى خلفهُ فتًى منْ قومهِ، فلمّا طالَ على الفتى صلّى وخرجَ، فأخذَ بخطامِ بعيرهِ، وانطلقوا، فلمّا صلّى معاذٌ ذكرَ ذلكَ لهُ، فقالَ: إنَّ هذا لنفاقٌ، لأخبرنَّ رسولَ الله ﷺ، فأخبرهُ معاذٌ بالّذي صنعَ الفتى.

فقالَ الفتى: يا رسولَ الله، يطيلُ المكثَ عندكَ، ثمَّ يرجعُ، فيطوّلُ علينا.

فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**أفتّانٌ أنتَ يا معاذُ؟**».

وقالَ للفتى: «**كيفَ تصنعُ يا ابنَ أخي إذا صلّيتَ؟**».

---

(١) رواه النسائي [١٩٥٣]، وصححه الألباني في أحكام الجنائز [ص٦١].

قالَ: أقرأُ بفاتحةِ الكتابِ، وأسألُ الله الجنّةَ وأعوذُ بهِ منَ النّارِ، وإنّي لا أدري، ما دندنتكَ ودندنةُ معاذٍ؟

فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**إنّي ومعاذٌ حولَ هاتينِ أوْ نحوَ ذي**».

قالَ: قالَ الفتى: ولكنْ سيعلمُ معاذٌ إذا قدمَ القومُ.

وقدْ خبروا أنَّ العدوَّ قدْ دنوا. قالَ: فقدموا. قالَ: فاستشهدَ الفتى.

فقالَ النّبيُّ ﷺ بعدَ ذلكَ لمعاذٍ: «**ما فعلَ خصمي وخصمكَ؟**».

قالَ: يا رسولَ اللهِ، صدقَ اللهَ وكذبتُ، استشهدَ[1].

وربّما سابق بعضهم على الإبل:

عنْ أنسِ بن مالكٍ رضي الله عنه قالَ: كانَ للنّبيِّ ﷺ ناقةٌ تسمّى العضباءَ، لا تكادُ تسبقُ.

فجاءَ أعرابيٌّ على قعودٍ[2]، فسابقَ رسولَ الله ﷺ، فسبقه. فاشتدَّ ذلكَ على المسلمينَ، وقالوا: سبقتِ العضباءُ.

فلمّا رأى ما في وجوههمْ قالَ رسولُ الله ﷺ: «**إنَّ حقّاً على الله أنْ لا يرتفعَ شيءٌ منَ الدّنيا إلّا وضعهُ**»[3].

من فوائد الحديث:

فيهِ: الحثُّ على التّواضعِ.

وفيهِ: اتّخاذُ الإبل للرّكوبِ، والمسابقةِ عليها.

وفيهِ: حسنُ خلقِ النّبيِّ ﷺ وتواضعهُ؛ لكونهِ رضيَ أنَّ أعرابيّاً يسابقهُ.

---

(١) رواه ابن خزيمة [١٦٣٤]، وقال الألباني: «إسناده جيد». صفة صلاة النبي ﷺ [ص١٠٦]، وهو في البخاري [٧٠٥]، ومسلم [٤٦٥] مختصراً.

(٢) وهو ما استحقَّ الرّكوبَ منْ الإبلِ، قالَ الجوهريّ: هوَ البكر حتّى يركبَ، وأقلّ ذلكَ أنْ يكونَ ابنَ سنتينِ إلى أنْ يدخلَ السّادسة، فيسمّى جملاً. لسان العرب [٣/ ٣٥٩].

(٣) رواه البخاري [٢٨٧٢].

وفيهِ: التّزهيدُ في الدّنيا؛ للإشارةِ إلى أنَّ كلَّ شيءٍ منها لا يرتفعُ إلّا اتّضعَ[١].

ورفقه ﷺ بهم كان فيما يتعلّق بحقوقه الخاصّة، وأمّا إذا كان الأمر يتعلّق بحقوق الله، فكان يوقفهم عند حدود الشرع وأحكامه:

عنِ المغيرةِ بنِ شعبةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ ضرّتينِ اقتتلتا، فضربتْ إحداهما الأخرى بعمودِ فسطاطٍ فقتلتها. [وفي لفظ: وهيَ حاملٌ فقتلتْ ولدها الّذي في بطنها].

فقضى رسولُ الله ﷺ بالدّيةِ على عصبةِ القاتلةِ، وقضى لما في بطنها بغرّةٍ[٢].

فقالَ الأعرابيُّ: تغرّمني منْ لا شربَ ولا أكلَ، ولا نطقَ ولا استهلَّ، فمثلُ ذلكَ يطلَّ[٣].

فقال ﷺ: «**أسجعٌ كسجعِ الجاهليّةِ؟!**» وقضى لما في بطنها بغرّةٍ[٤].

قالَ العلماء: إنّما ذمّ سجعه لوجهينِ:

أحدهما: أنّهُ عارضَ بهِ حكم الشّرع، ورامَ إبطاله.

الثّاني: أنّهُ تكلّفهُ في مخاطبته، وهذانِ الوجهانِ منَ السّجع مذمومان.

وأمّا السّجع الّذي كانَ النّبيُّ ﷺ يقولهُ في بعض الأوقات وهوَ مشهور في الحديث فليسَ منْ هذا؛ لأنّهُ لا يعارض بهِ حكم الشّرع، ولا يتكلّفهُ فلا نهي فيهِ، بلْ هوَ حسن[٥].

وإنّما ضربَ المثل بالكهّانِ لأنّهمْ كانوا يروّجونَ أقاويلهمْ الباطلة بأسجاعٍ ترقّق القلوب ليميلوا إليها[٦].

---

(١) فتح الباري [٦/ ٤٧].

(٢) أيْ: مملوكٌ عبدٌ أوْ أمةٌ، ويكون مقدارها نصف عشر الدية. وهذا: محمول على أنها ضربتها بعمود لا يقصد بهِ القتل غالباً، فيكون شبه عمد تجب فيهِ الدّية على العاقلة، ولا يجبُ فيهِ قصاصٌ، ولا دية على الجاني. شرح النووي [١١/ ١٧٧، ١٧٦].

(٣) أيْ: يهدر. النهاية [٣/ ١٣٦].

(٤) رواه البخاري [٦٩٠٦]، ومسلم [١٦٨٢]، والنسائي [٤٨٢٣] واللفظ له.

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم [١١/ ١٧٨].

(٦) لسان العرب [١٣/ ٣٦٣].

وإنّما لمْ يعاقبهُ لأنّهُ ﷺ كانَ مأموراً بالصّفحِ عنِ الجاهلينَ[١].

وعنْ عبدِ الله بنِ عمرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالَ: أتى النّبيَّ ﷺ أعرابيٌّ عليهِ جبّةٌ منْ طيالسةٍ مكفوفةٌ بديباجٍ، أوْ مزرورةٌ بديباجٍ، فقالَ: إنَّ صاحبكمْ هذا[٢] يريدُ أنْ يرفعَ كلَّ راعٍ ابنِ راعٍ، ويضعَ كلَّ فارسٍ ابنِ فارسٍ.

فقامَ النّبيُّ ﷺ مغضباً، فأخذَ بمجامعِ جبّتِهِ، فاجتذبهُ، وقالَ: لا أرى عليكَ ثيابَ منْ لا يعقلُ، ثمَّ رجعَ رسولُ الله ﷺ، فجلسَ، فقالَ:

«إنَّ نوحاً عَلَيْهِ السَّلَامُ لمّا حضرتهُ الوفاةُ دعا ابنيهِ، فقالَ: إنّي قاصرٌ عليكما الوصيّةَ، آمركما باثنتينِ، وأنهاكما عنِ اثنتينِ، أنهاكما عنِ الشّركِ والكبرِ، وآمركما بلا إلهَ إلّا الله؛ فإنَّ السّمواتِ والأرضَ وما فيهما لوْ وضعتْ في كفّةِ الميزانِ، ووضعتْ لا إلهَ إلّا الله في الكفّةِ الأخرى؛ كانتْ أرجحَ.

ولوْ أنَّ السّمواتِ والأرضَ كانتا حلقةً، فوضعتْ لا إلهَ إلّا الله عليها؛ لفصمتها أوْ لقصمتها.

وآمركما بسبحانَ الله وبحمدهِ؛ فإنّها صلاةُ كلِّ شيءٍ، وبها يرزقُ كلُّ شيءٍ»[٣].

ولم يكن يقبل منهم الإقالة من البيعة على الإسلام والهجرة:

عنْ جابرِ بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: جاءَ أعرابيٌّ النّبيَّ ﷺ فبايعهُ على الإسلامِ.

فأصابَ الأعرابيَّ وعكٌ بالمدينةِ[٤]، فأتى النّبيَّ ﷺ فقالَ: يا محمّدُ أقلني بيعتي[٥].

فأبى رسولُ الله ﷺ.

---

(١) فتح الباري [١٠/ ٢١٨].

(٢) يقصد النبي ﷺ.

(٣) رواه أحمد [٧٠٦١]، وصحّحه الألباني في الصحيحة [١٣٤].

(٤) الحمّى وألمها. النهاية [٥/ ٢٠٧]

(٥) أي: اقبل مني فسخ البيعة التي بيننا.

ثمَّ جاءهُ فقالَ: أقلني بيعتي.

فأبى.

ثمَّ جاءهُ فقالَ: أقلني بيعتي.

فأبى، فخرجَ الأعرابيُّ[١].

فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**إنّما المدينةُ كالكيرِ تنفي خبثها، وينصعُ طيّبها**»[٢].

قالَ العلماء: إنّما لمْ يقلهُ النّبيّ ﷺ بيعته، لأنّهُ لا يجوز لمنْ أسلمَ أنْ يترك الإسلام، ولا لمنْ هاجرَ إلى النّبيّ ﷺ للمقامِ عنده أنْ يترك الهجرة ويذهب إلى وطنه أوْ غيره. وهذا الأعرابيّ كانَ ممّنْ هاجرَ وبايعَ النّبيّ ﷺ على المقام معهُ[٣].

«**إنّما المدينةُ كالكيرِ**» كير الحدّاد، وهوَ المبنيُّ منَ الطّين. وقيلَ: الزّقُّ الّذي ينفخ بهِ النّار، والمبنيُّ: الكورُ[٤].

«**تنفي خبثها**» هوَ ما تلقيهِ منْ وسخِ الفضّةِ والنّحاسِ وغيرهما إذا أذيبا.

والمعنى: تطردُ المدينةُ منْ لا خيرَ فيهِ وتخرجهُ.

«**وينصعُ طيّبها**» أيْ: يصفو ويخلص ويتميّز، ومعنى الحديث: أنّهُ يخرج منَ المدينة منْ لمْ يخلص إيمانه، ويبقى فيها منْ خلصَ إيمانه[٥].

قالَ ابنُ المنيرِ: «ظاهرُ هذا الحديثِ ذمٌّ منْ خرجَ منَ المدينةِ، وهوَ مشكلٌ؛ فقدْ خرجَ منها جمعٌ كثيرٌ منْ الصّحابةِ، وسكنوا غيرها منَ البلادِ، وكذا منْ بعدهمْ منَ الفضلاءِ.

والجوابُ: أنَّ المذمومَ منْ خرجَ عنها كراهةً فيها، ورغبةً عنها كما فعلَ الأعرابيُّ

---

(١) أيْ: منْ المدينةِ راجعاً إلى البدوِ.

(٢) رواه البخاري [١٨٨٣]، ومسلم [١٣٨٣].

(٣) شرح النووي على مسلم [٩/ ١٥٦].

(٤) النهاية [٤/ ٢١٧].

(٥) تحفة الأحوذي [١٠/ ٢٨٩].

المذكورُ، وأمّا المشارُ إليهمْ فإنّما خرجوا لمقاصدَ صحيحةٍ، كنشرِ العلمِ، وفتحِ بلادِ الشّركِ، والمرابطةِ في الثّغورِ وجهادِ الأعداءِ، وهمْ معَ ذلكَ على اعتقادِ فضلِ المدينةِ وفضلِ سكناها[١].

وكان يزجرهم عن النظر في البيوت من غير استئذان:

عنْ أنسِ بنِ مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ أعرابيّاً أتى بابَ رسولِ الله ﷺ، فألقمَ عينهُ خصاصةَ البابِ[٢]. فبصَر بهِ النّبيُّ ﷺ، فتوخّاهُ[٣] بحديدةٍ، أوْ عودٍ؛ ليفقأَ عينهُ.

فلمّا أنْ بصرَ انقمعَ[٤].

فقالَ لهُ النّبيُّ ﷺ: «**أما إنّكَ لوْ ثبتَّ؛ لفقأتُ عينكَ**»[٥].

عنْ سهلِ بنِ سعدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: اطّلعَ رجلٌ منْ جحرٍ في حجرِ النّبيِّ ﷺ، ومعَ النّبيِّ ﷺ مدرًى يحكُّ بهِ رأسهُ.

فقالَ: «**لوْ أعلمُ أنّكَ تنظرُ؛ لطعنتُ بهِ في عينكَ، إنّما جعلَ الاستئذانُ منْ أجلِ البصرِ**»[٦].

قال النووي: «معناهُ: أنَّ الاستئذان مشروع ومأمور بهِ، وإنّما جعلَ لئلّا يقع البصر على الحرام، فلا يحلُّ لأحدٍ أنْ ينظر في جحر باب ولا غيره ممّا هوَ متعرّض فيهِ؛ لوقوعِ بصره على امرأة أجنبيّة.

وفي هذا الحديث: جواز رمي عين المتطلّع بشيءٍ خفيف، فلوْ رماهُ بخفيفٍ ففقأها؛ فلا ضمان، إذا كانَ قدْ نظر في بيت ليسَ فيهِ امرأة محرم»[٧].

---

(١) فتح الباري [١٣/ ٢٠٠].

(٢) الخصاصة: الفرجة، والمعنى جعلَ فرجة الباب محاذيَ عينه كأنّها لقمة لها.

(٣) أيْ: طلبهُ.

(٤) أيْ: ردَّ بصره ورجعَ.

(٥) رواه النسائي [٤٨٥٨]، وصححه الألباني.

(٦) رواه البخاري [٥٩٢٤]، ومسلم [٢١٥٦].

(٧) شرح النووي على صحيح مسلم [١٤/ ١٣٧].

وكان يزور مريضهم، ويدعو لهم:

عنْ عبد الله بنِ عبّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ النّبيَّ ﷺ دخلَ على أعرابيٍّ يعودهُ.

قالَ: وكانَ النّبيُّ ﷺ إذا دخلَ على مريضٍ يعودهُ قالَ: «**لا بأسَ طهورٌ إنْ شاءَ الله**»، فقالَ لهُ: «**لا بأسَ طهورٌ إنْ شاءَ الله**».

قالَ: قلت: طهورٌ! كلّا بلْ هيَ حمّى تفورُ، أوْ تثورُ على شيخٍ كبيرٍ تزيرهُ القبورَ.

فقالَ النّبيُّ ﷺ: «**فنعمْ إذاً**»[(١)].

وفي رواية: «فما أمسى منَ الغدِ إلّا ميّتاً»[(٢)].

«**لا بأسَ**» لا بأس يعني: لا شدّةَ عليك، ولا أذى.

«**طهورٌ إنْ شاءَ الله**» يعني: هذا طهورٌ إن شاء الله، وإنما قال النبي ﷺ إن شاء الله؛ لأن هذه جملة خبريّةٌ، وليست جملة دعائيّةً؛ لأن الدعاء ينبغي للإنسان أن يجزم به، ولا يقول إن شئتَ.

ولهذا نهى النبي ﷺ أن يقول الرجل «اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئتَ»[(٣)]. لا تقل هذا؛ لأن الله لا مكره له، إن شاء غفر لك، وإن شاء لم يغفر ولم يرحم، فلا يقال: إن شئتَ إلا لمن له مكره، أو لمن يستعظمُ العطاء، فإذا سألتَ الله فلا تقل إن شئتَ.

أما قولُ إن شاء الله في قول النبيِّ ﷺ لا بأس طهور إن شاء الله، فهذا؛ لأنه خبر وتفاؤل، فيقول: لا بأس، كأنه ينفي أن يكون به بأسٌ.

ثم يقولُ: إن شاء الله؛ لأن الأمر كلّه بمشيئة الله عَزَّوَجَلَّ[(٤)].

«**فنعمْ إذاً**» الفاء فيهِ معقّبة لمحذوفٍ تقديره: إذا أبيت فنعمْ، أيْ: كانَ كما ظننت.

---

(١) رواه البخاري [٣٦١٦].

(٢) رواه الطبراني [٧٢١٣] عن شرحبيل، وقال الهيثمي: «فيه من لم أعرفه». مجمع الزوائد [٣/ ٣٩].

(٣) رواه البخاري [٦٣٣٩]، ومسلم [٢٦٧٩] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) شرح رياض الصالحين [٤/ ٤٨٤] لابن عثيمين.

من فوائد الحديث:

فيهِ: أنه ينبغي لمن عاد المريضَ إذا دخل عليه أن يقول: لا بأس طهور إن شاء الله.

وفيهِ: أنّهُ لا نقصَ على الإمام في عيادة مريض منْ رعيّته ولوْ كانَ أعرابيّاً جافيا، ولا على العالم في عيادة الجاهل؛ ليعلّمهُ ويذكّرهُ بما ينفعهُ ويأمرهُ بالصّبرِ لئلّا يتسخّط قدر الله فيسخط عليهِ ويسلّيه عنْ ألمه بلْ يغبطهُ بسقمهِ، إلى غير ذلكَ منْ جبر خاطره وخاطر أهله.

وفيهِ: أنّهُ ينبغي للمريضِ أنْ يتلقّى الموعظة بالقبولِ، ويحسن جواب منْ يذكّرهُ بذلكَ[1].

وكان ﷺ يقبلُ هداياهم، ويكافئهم عليها:

عنْ أنسِ بنِ مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رجلاً منْ أهلِ الباديةِ كانَ اسمهُ زاهراً[2]، كانَ يهدي للنّبيِّ ﷺ الهديّةَ منَ الباديةِ، فيجهّزهُ رسولُ الله ﷺ إذا أرادَ أنْ يخرجَ.

فقالَ النّبيُّ ﷺ: «**إنَّ زاهراً باديتنا، ونحنُ حاضروهُ**».

وكانَ النّبيُّ ﷺ يحبّهُ، وكانَ رجلاً دميماً، فأتاهُ النّبيُّ ﷺ يوماً، وهوَ يبيعُ متاعهُ، فاحتضنهُ منْ خلفهِ، وهوَ لا يبصرهُ.

فقالَ الرّجلُ: أرسلني، منْ هذا؟

فالتفتَ، فعرفَ النّبيَّ ﷺ، فجعلَ لا يألو ما ألصقَ ظهرهُ بصدرِ النّبيِّ ﷺ حينَ عرفهُ.

وجعلَ النّبيُّ ﷺ يقولُ: (منْ يشتري العبدَ؟)[3].

فقالَ: يا رسولَ الله إذاً والله تجدني كاسداً.

فقالَ النّبيُّ ﷺ: «**لكنك عندَ الله لستَ كاسدا**» أوْ قالَ: «**لكنْ عندَ الله أنتَ غالٍ**»[4].

---

(١) ينظر: فتح الباري [١٠/ ١١٩]، شرح رياض الصالحين [٤/ ٤٨٤] لابن عثيمين.

(٢) هو زاهر بن حرام، كان بدويا من أشجع الناس.

(٣) وهذا من مزاحه ﷺ الذي لا يقول فيه إلا حقّاً حيث أطلق عليه العبد؛ لكون الناس كلّهم عبيد لله.

(٤) رواه أحمد في مسنده [١٢٢٣٧]، وصححه الألباني في التعليقات الحسان [٥٧٦٠].

«**باديتنا**» أي: ساكن باديتنا، أو يهدي إلينا من صنوف نبات البادية، وأنواع ثمارها فصار كأنه باديتنا، أو إذا احتجنا متاع البادية جاء به إلينا، فأغنانا عن الرحيل.

«**ونحنُ حاضروهُ**» أي: نجهّزه بما يحتاجه من الحاضرةِ، أو أنه لا يقصد بالرجوع إلى الحاضرة إلا مخالطتنا.(١)

«**وكانَ رجلاً دميماً**» أي: قبيح الصورة، مع كونه مليحَ السيرة.

ففيه التنبيه على أن المدار على حسن الباطن، ولذا جاء في الحديث: «**إنَّ اللهَ لا ينظرُ إلى صوركمْ، وأموالكمْ، ولكنْ ينظرُ إلى قلوبكمْ، وأعمالكمْ**»(٢).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ أعرابيّاً أهدى لرسولِ الله ﷺ بكرةً(٣)، فعوّضهُ منها ستَّ بكراتٍ، فتسخّطهُ(٤).

فبلغَ ذلكَ النّبيَّ ﷺ، فحمدَ اللهَ وأثنى عليهِ ثمَّ قالَ: «**إنَّ رجالاً منَ العربِ يهدي أحدهمْ الهديّةَ، فأعوّضهُ منها بقدرِ ما عندي، ثمَّ يتسخّطهُ فيظلُّ يتسخّطُ عليَّ، ولقدْ هممتُ أنْ لا أقبلَ هديّةً إلّا منْ قرشيٍّ، أوْ أنصاريٍّ، أوْ ثقفيٍّ، أوْ دوسيٍّ**»(٥).

قالَ التّوربشتيُّ: «كرهَ قبولَ الهديّةِ ممّنْ كانَ الباعثُ لهُ عليها طلبَ الاستكثارِ، وإنّما خصَّ المذكورينَ فيهِ بهذهِ الفضيلةِ؛ لما عرفَ فيهمْ منْ سخاوةِ النّفسِ، وعلوِّ الهمّةِ، وقطعِ النّظرِ عنْ الأعواضِ»(٦).

---

(١) فيض القدير [٢/ ٤٥٢].

(٢) رواه مسلم [٢٥٦٤] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. جمع الوسائل في شرح الشمائل [٢/ ٢٩] للقاري.

(٣) البكرُ من الإبل بمنزلة الفتى من الناس. النهاية [١/ ١٤٩]

(٤) أيْ: كرهاً ولمْ يرضَ بها، وإنّما تسخّطَ الأعرابيُّ لأنَّ طمعهُ في الجزاءِ كانَ أكثرَ؛ لما سمعَ منْ فيضِ جودهِ ﷺ. تحفة الأحوذي [١٠/ ٣٠٨]

(٥) رواه الترمذي [٣٩٤٥]، وأبو داود [٣٤٣٧]، وصححه الألباني في صحيح الجامع [٢١١٩].

(٦) تحفة الأحوذي [١٠/ ٣٠٨].

وربما تعدّى عليه بعضهم، فصبر واحتمل مخاصمته:

عنْ عمارةَ بنِ خزيمةَ أن عمه حدثه وهو من أصحاب النبي ﷺ: أنَّ النّبيَّ ﷺ ابتاعَ فرساً منْ أعرابيٍّ، فاستتبعهُ النّبيُّ ﷺ؛ ليقضيهُ ثمنَ فرسهِ[١].

فأسرعَ رسولُ الله ﷺ المشيَ، وأبطأَ الأعرابيُّ.

فطفقَ رجالٌ يعترضونَ الأعرابيَّ، فيساومونهُ بالفرسِ، ولا يشعرونَ أنَّ النّبيَّ ﷺ ابتاعهُ، حتّى زادَ بعضهمْ في السّومِ على ما ابتاعهُ بهِ منهُ.

فنادى الأعرابيُّ رسولَ الله ﷺ، فقالَ: إنْ كنتَ مبتاعاً هذا الفرسِ وإلّا بعتهُ!.

فقامَ النّبيُّ ﷺ حينَ سمعَ نداءَ الأعرابيِّ فقالَ: «**أوْ ليسَ قدْ ابتعتهُ منكَ**».

فقالَ الأعرابيُّ: لا والله ما بعتكهُ!

فقالَ النّبيُّ ﷺ: «**بلى قدْ ابتعتهُ منكَ**».

فطفقَ النّاسُ يلوذونَ بالنّبيِّ ﷺ وبالأعرابيِّ وهما يتراجعانِ[٢]، وطفقَ الأعرابيُّ يقولُ: هلمَّ شاهداً يشهدُ أنّي قدْ بعتكهُ.

فقالَ خزيمةُ بنُ ثابتٍ: أنا أشهدُ أنّكَ قدْ بايعتهُ.

فأقبلَ النّبيُّ ﷺ على خزيمةَ فقالَ: «**بمَ تشهدُ؟**».

فقالَ: بتصديقكَ يا رسولَ الله، فجعلَ رسولُ الله ﷺ شهادةَ خزيمةَ بشهادةِ رجلينِ[٣].

«**بشهادةِ رجلينِ**» وقد ظهر أثر ذلك عند جمع القرآن؛ فعنْ خارجةَ بنِ زيدٍ أنَّ زيدَ بنَ ثابتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: نسختُ الصّحفَ في المصاحفِ، ففقدتُ آيةً منْ سورةِ الأحزابِ كنتُ أسمعُ رسولَ الله ﷺ يقرأُ بها، فلمْ أجدها إلّا معَ خزيمةَ بنِ ثابتٍ الأنصاريِّ الّذي جعلَ

---

(١) أيْ: قالَ للأعرابيِّ: اتّبعني.

(٢) أيْ: يتعلّقونَ بهما ويحضرونَ مكالمتهما.

(٣) رواه أحمد [٢١٣٧٦]، وأبو داود [٣٦٠٧] والنسائي [٤٦٤٧]، وصححه الألباني في الإرواء [١٢٨٦].

رسولُ الله ﷺ شهادتهُ شهادةَ رجلينِ، وهوَ قولهُ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣][(١)].

وربما اشتدَّ عليه بعضهم في الكلام فيحتمل منه ذلك:

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاءَ أعرابيٌّ إلى النّبيِّ ﷺ يتقاضاهُ ديناً كانَ عليهِ، فاشتدَّ عليهِ حتّى قالَ لهُ: أحرّجُ عليكَ إلّا قضيتني!

فانتهرهُ أصحابهُ، وقالوا: ويحكَ تدري منْ تكلّمُ؟!

قالَ: إنّي أطلبُ حقّي.

فقالَ النّبيُّ ﷺ: «**هلّا معَ صاحبِ الحقِّ كنتمْ!**».

ثمَّ أرسلَ إلى خولةَ بنتِ قيسٍ، فقالَ لها: «إنْ كانَ عندكِ تمرٌ، فأقرضينا حتّى يأتينا تمرنا، فنقضيكِ».

فقالتْ: نعمْ بأبي أنتَ يا رسولَ الله.

فأقرضتهُ، فقضى الأعرابيَّ وأطعمهُ[(٢)].

فقالَ: أوفيتَ أوفى الله لكَ.

فقالَ ﷺ: «**أولئكَ خيارُ النّاسِ، إنّهُ لا قدّستْ أمّةٌ لا يأخذُ الضّعيفُ فيها حقّهُ غيرَ متعتعٍ**[(٣)]»[(٤)].

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: ابتاعَ رسولُ الله ﷺ منْ رجلٍ منْ الأعرابِ جزوراً بوسقٍ منْ تمرِ الذّخرةِ[(٥)].

---

(١) رواه البخاري [٢٨٠٧].

(٢) أيْ: أعطاهُ زائداً على حقّهِ طعمةً لهُ.

(٣) أيْ منْ غير أنْ يصيبهُ أذًى يقلقهُ ويزعجهُ.

(٤) رواه ابن ماجه [٢٤٢٦] وصححه الألباني في صحيح الجامع [٢٤٢١].

(٥) تمرُ الذّخرةِ: العجوةُ.

فرجعَ بهِ رسولُ الله ﷺ إلى بيتهِ، والتمسَ لهُ التّمرَ، فلمْ يجدهُ.

فخرجَ إليهِ رسولُ الله ﷺ فقالَ لهُ: «**يا عبدَ الله إنّا قدْ ابتعنا منكَ جزوراً بوسقٍ منْ تمرِ الذّخرةِ، فالتمسناهُ فلمْ نجدهُ**».

فقالَ الأعرابيُّ: وا غدراهُ!!

قالتْ: فنهمهُ النّاسُ، وقالوا: قاتلكَ الله أيغدرُ رسولُ الله ﷺ؟!

فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**دعوهُ فإنَّ لصاحبِ الحقِّ مقالاً**».

ثمَّ عادَ لهُ رسولُ الله ﷺ، فقالَ: «**يا عبدَ الله إنّا ابتعنا منكَ جزوراً، ونحنُ نظنُّ أنَّ عندنا ما سمّينا لكَ، فالتمسناهُ فلمْ نجدهُ**».

فقالَ الأعرابيُّ: وا غدراهُ!

فنهمهُ النّاسُ وقالوا: قاتلكَ الله أيغدرُ رسولُ الله ﷺ.

فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**دعوهُ فإنَّ لصاحبِ الحقِّ مقالاً**».

فردّدَ ذلكَ رسولُ الله ﷺ مرّتينِ أوْ ثلاثاً.

فلـمّا رآهُ لا يفقهُ عنهُ، قالَ لرجلٍ منْ أصحابهِ: اذهبْ إلى خويلةَ بنتِ حكيمِ بنِ أميّةَ فقلْ لها: «**رسولُ الله ﷺ يقولُ لكِ: إنْ كانَ عندكِ وسقٌ منْ تمرِ الذّخرةِ فأسلفيناهُ حتّى نؤدّيهُ إليكِ إنْ شاءَ الله**».

فذهبَ إليها الرّجلُ ثمَّ رجعَ الرّجلُ فقالَ: قالتْ: نعمْ هوَ عندي يا رسولَ الله فابعثْ منْ يقبضهُ.

فقالَ رسولُ الله ﷺ للرّجلِ: «**اذهبْ بهِ فأوفهِ الّذي لهُ**».

فذهبَ بهِ فأوفاهُ الّذي لهُ.

فمرَّ الأعرابيُّ برسولِ الله ﷺ وهوَ جالسٌ في أصحابهِ فقالَ: «**جزاكَ الله خيراً فقدْ أوفيتَ وأطيبتَ!**».

فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**أولئكَ خيارُ عبادِ الله عندَ الله يومَ القيامةِ الموفونَ المطيبونَ**»(١).

وكان ﷺ ربما عاتبهم على بعض أفعالهم وقسوتهم:

عن أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قبّلَ رسولُ الله ﷺ الحسنَ بنَ عليٍّ، وعندهُ الأقرعُ بنُ حابسٍ التّميميُّ جالساً.

فقالَ الأقرعُ: إنَّ لي عشرةً منَ الولدِ ما قبّلتُ منهمْ أحداً.

فنظرَ إليهِ رسولُ الله ﷺ، ثمَّ قالَ: «**منْ لا يرحمُ لا يرحمُ**»(٢).

وعنْ عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالتْ: جاءَ أعرابيٌّ إلى النّبيِّ ﷺ، فقالَ: تقبّلونَ الصّبيانَ؟ فما نقبّلهمْ.

فقالَ النّبيُّ ﷺ: «**أوأملكُ لكَ أنْ نزعَ الله منْ قلبكَ الرّحمةَ؟**»(٣).

---

(١) رواه أحمد [٢٥٧٨٠]، وقال الهيثمي: «إسناده صحيح». مجمع الزوائد [٤/ ٢٤٨]، وحسنه الأرنؤوط.

(٢) رواه البخاري [٥٩٩٧]، ومسلم [٢٣١٨].

٩(٣) رواه البخاري [٥٩٩٨]، ومسلم [٢٣١٧].

النّاسُ مختلفونَ في أخلاقهمْ ... وطباعهمْ كتنوّعِ الألوانِ
قلبٌ كما اللّبنِ الحليبِ بياضهُ ... متشبّعٌ بتعطّفٍ وحنانِ
وسواهُ قلبٌ كالصّفا متحجّرٌ ... بلْ ربّما أقسى منَ الصّوّانِ
سكنَ الصّحارى مسنداً لصخورها ... فلذا هما صنوانِ مشتبهانِ
جاءوا النّبيَّ بجهلمْ وجفائهمْ ... فيروضهمْ بالحلمِ والإحسانِ
يأتي الجهولُ يشدّهُ منْ ثوبهِ ... فانشقَّ منْ جذبِ الجهولِ الجاني
ضحكَ النّبيُّ لهُ، وأعطاهُ الّذي ... يرجو بلا عنفٍ ولا حرمانِ
ويبولُ جاهلهمْ بمسجدهِ، فلمْ ... يزجرهُ بالتّعنيفِ قبلَ بيانِ
إنَّ المساجدَ عظّمتْ حرماتها ... ليستْ لهذاكَ الأذى بمكانِ
بنيتْ لذكرِ الله جلَّ جلالهُ ... وصلاتنا، وقراءةِ القرآنِ
يغضي عنِ الإغلاظِ منهمْ والجفا ... منْ سوءِ أخلاقٍ، وقبحِ لسانِ
بلْ جاءَ يوماً خائنٌ يغتالهُ ... غدراً كفعلِ مخادعٍ خوّانِ
رفعَ السّلاحَ على النّبي وقالَ: «منْ ... يحميكَ منّي»، لاتَ حينَ أمانِ
فأجابهُ: «الله»، فانبهتَ الفتى ... وكأنّما قدْ شلّتِ الكفّانِ
أخذَ النّبيُّ سلاحهُ، لكنْ عفا ... والعفوُ يجملُ ساعةَ الإمكانِ
لكنْ إذا قتلوا البريءَ، وأفسدوا ... في الأرضِ، وارتدّوا عنِ الإيمانِ
يقتصُّ منهمْ بالعدالةِ حاكماً ... ومعاقباً بالحزمِ دونَ توانِ
ويجالسُ الأعرابَ دونَ تكبّرٍ ... ويضيفهمْ بكرامةِ الضّيفانِ
ويوضّحُ الأمثالَ منْ بيئاتهمْ ... لهمُ، وتلكَ حلاوةُ التّبيانِ
ويزورُ مرضاهمْ، ويدعو بالشّفا ... ومبشّراً بالطّهرِ والغفرانِ
قبلَ الهدايا منهمُ، وأثابهمْ ... ليقابلَ الإحسانَ بالإحسانِ
بلْ زادَ أضعافاً، وشيمتهُ النّدى ... مثلَ السّحابِ الصّيّبِ الهتّانِ